# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(٢ تيموثاوس ٤: ٥-٨)

يا ولدي تيموثاوسَ تيقَّظ في كلِّ شيءٍ واحتَمِلْ المشقَّاتَ واعمَل عَمل المبشِّر وأوفِ خدمتَك* أمَّا أنا فقد أُريقَ السَّكيبُ ووقتُ انحلالي قدِ اقترب* وقد جاهدتُ الجِهادَ الحسَنَ وأتممتُ شَوْطي وحفظتُ الإيمان* وإنَّما يبقى محفوظاً لي إكليلُ العدلِ الذي يَجزيني به في ذلك اليوم الربُّ الديَّانُ العادل لا إيَّايَ فقط بل جميعَ الذينَ يُحبونَ ظهورَهُ أيضاً.

## الإنجيل

(مرقس ١: ١-٨)

بدءُ إنجيلِ يسوعَ المسيح ابنِ الله. كما هو مكتوبٌ في الأنبياءِ: هاأنذا مُرسِلٌ ملاكي أمام وجهِك يُهيءُ طريقَكَ قدَّامك* صوتُ صارخٍ في البرّيَّة أعِدُّوا طريقَ الربِّ واجعلوا سُبلَه قويمةً* كان

**العدد ١/ ٢٠١١**

**الأحد ٢ كانون الثاني**

**الأحد قبل الظهور الإلهي**

**تذكار أبينا الجليل في القديسين سلبسترس بابا روميه والقديس سيرافيم ساروفسكي**

**اللحن السابع**

**إنجيل السَحَر العاشر**

## معمودية الروح

«أنا عمَّدتُكم بالماءِ، وأمَّا هو فسيُعمِّدُكم بالروحِ القُدُس» (مر ١: ٨).

قال السابق المجيد هذا الكلام لما كان «الجميع يفكِّرون في قلوبهم عن يوحنا لعلَّه المسيحُ» (لو ٣: ١٥)، تحديداً لكي يرسي الأساسات لمعمودية الخلاص الآتية. لم يكن عماد يوحنا إلاّ تدبيراً مؤقتاً، أو تمهيدياً، غايته البحتة الإعداد للعماد الخلاصي الموعود بالمسيح ابن الله، الحامل روح الله القدوس لخليقته، وهو التطهير الأسمى الذي عليه سوف يتأسس العالم الجديد.

قلنا إن عماد يوحنا لم يكن إلاّ تدبيراً مؤقتاً، بيد أنه حرّك النفوس تحريكاً ورأى الناس فيه آنذاك أفقاً دينياً جديداً، تطوراً وكأن زماناً دينياً جديداً آت. لكن يوحنا الأمين لرسالته، تكلّم باسم زمان الأنبياء قاطبة لما أوضح للجميع أن العماد الآتي هو الأعظم والأسمى، بل والأفعل. دور الأنبياء كان النهي عن الخطيئة وتنبيه الشعب. يدلّون على طريق الخلاص ولكن لا قدرة لهم على منحه. أما دور المسيح فهو تماماً تحقيق هذا الخلاص للمؤمنين به. المسيح لم يأتِ ليدلّ على الخلاص بل ليمنحه، ليحققه. بكلامه عن معمودية الروح يقول السابق المجيد ما معناه أنا هنا لأعلّمكم، لأنبئكم بالخلاص الآتي وأفتح أعينكم على عاقبة عدم اقتباله، وحسب. أما الآتي فمعموديته لغفران الخطايا، لمحو العقاب، للتقديس والفداء، للتبني وشركة الميراث، ولانسكاب روح الله القدوس عليكم.

يتقدّم يسوع لاقتبال معمودية يوحنا نازلاً إلى صفوف الخطأة، عاكساً إذا جاز التعبير تمرّد الإنسان الأول، مصوّراً بعمله هذا اتخاذه الكلّي لطبيعتنا بمرضها وشقائها. انه الحمل البريء من العيب، الآتي من لدن الله ليحمل عنّا خطيئة العالم ويغسلها غسلاً تاماً بفدائه (يو ١: ٢٩، ٣٦). المشهد الأول من حياة يسوع العلنية إذاً، قبل التبشير والتعليم والآيات الشافيات وغيرها،

يوحنا يعمّد في البرية ويكرزُ بمعمودية التوبةِ لغفران الخطايا* وكان يخرج إليه جميعُ أهلِ بلد اليهودية وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منه في نهرِ الأردن معترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يلبَس وَبَرَ الإبلِ وعلى حَقَويهِ منطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جراداً وعسلاً برّيًّا* وكان يكرزُ قائلاً إنَّه يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي وأنا لا أستحقُّ أن أنحنِيَ وأحلَّ سَيْرَ حِذائه* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعمِّدكم بالروح القدس.

## تأمل

ان العماد حقاً لأمر مهم، يا إخوة، فتقدَّموا إليه بحرص. ويجب على كل واحد منكم أن يقف أمام الله وأمام ربوات جيوش الملائكة. ويجب على الروح القدس أن يختم نفوسكم. إنكم ستجنَّدون في جيش ملك عظيم. فاستعدّوا إذاً وكونوا على علم. وارتدوا لا الملابس اللامعة، بل تقوى النفس بضمير نقيّ. لا تقربوا هذا الغسل كما لو كان الغسل يتمّ بماء عادي. لأنّ نعمة

هو مشهد اتضاع أسمى. هناك، في عمق هذا الاتضاع وسموه، أعلنت الهوية الإلهية لهذا الآتي ليعتمد بصوت الآب وحضور الروح وشهادة السابق الذي به اختتم زمان الأنبياء.

في اعتماد ربنا يسوع في الأردن، وبما في الصورة من تضادّ إذا جاز التعبير بين اصطباغه صبغة الخاطئين وبين الإعلان القوي لألوهته، إنباء أو صورة مسبقة لصبغة الدم التي أتى أصلاً ليصطبغ بها (لو ١٢: ٥٠). حياة يسوع العلنية إذاً أولها عماد ماء، وخاتمتها عماد دم، والماء والدم سالا معاً من جنبه الطاهر لما طعنه الجندي بالحربة (يو ١٩: ٣٤). نحن في سر العماد ننزل في الماء لتغسل المياه طبيعتنا المادية، ولنلبس موت المسيح (عماد دمه). في المعمودية الماء والدم متحدان اتحاداً وثيقاً، كما سالا معاً من الجنب الأطهر. «لا بالماءِ فقط بل بالماءِ والدمِ» كما يقول الإنجيلي القديس يوحنا (١ يو ٥: ٦). إذذاك وبختم الميرون تكتمل معموديتنا في المسيح، نلبس المسيح ونولد من الله، بشهادة ثلاثة هم الروح والماء والدم (١ يو ٥: ٨).

صوت الآب الشاهد لألوهة ابنه الوحيد يصبح أيضاً إعلان تبنٍّ لكل الذين يلبسون ابنه الوحيد. الآب يشهد للخليقة الجديدة التي ابنه الحبيب باكورتها، وإن كان مولوداً منه قبل الأزل وليس مخلوقاً. حلول الروح بشكل حمامة على يسوع المعتمد، وإن كان بمثابة تنصيب له وإعلان عن تحقق النبوءات فيه (مثلاً اشعيا ١١: ٢)، فهو أيضاً إنباء بالعنصرة التي سوف تأتي عندما يُتِمّ يسوع فداء الطبيعة البشرية بجسده الممجد. هو أيضاً إنباء مسبق بافتتاح العماد بالروح للكنيسة ولكل الذين سوف ينتمون إليها. «أما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير» يقول سفر أعمال الرسل (١:٥). في سِفر الأعمال أيضاً نرى القديس الرسول بطرس يعظ سامعيه، بعدما «نُخِسوا في قلوبهم» قائلاً «توبوا وليعتمِد كلُّ واحدٍ منكم على اسم يسوعَ المسيحِ لغفرانِ الخطايا فتقبلوا عطيَّةَ الروحِ القدس» (أع ٢: ٣٨). بشرية المسيح التي تمجّدت بعماد موته، سوف تصبح هي نفسها بمثابة «روح يحيي» يمنحه المسيح للذين يؤمنون به (١ كور ١٥: ٤٥).

هذا العماد على اسم يسوع المسيح، أي العماد «في المسيح»، يهدّم هيكل الخطيئة الجسد القديم، ويشرك المعتمِد في الحياة من أجل الله في المسيح (رو ٦: ٦ و١١). ذلك أن موت الخطيئة وعطية الحياة لا ينفصلان. المسيح لما أراد أن يردّ لبشريتنا المُهانة كرامتَها الأولى، قَبِلَ طوعاً ميتة الخاطئين ورشّ علينا من على الصليب، من جنبه الأطهر، دماً وماء لنتطهّر، جسداً وروحاً، تطهيراً ناجزاً لا ريب فيه. مذاك فُتح لنا باب الإشتراك الفعلي في الإستحقاقات المعطاة من المسيح، من على الصليب، وهذا الإشتراك هو اتحاد بالفعل بقيامته، ومبدئياً أو بالقوة اتحاد بتمجيده (أف ٢: ٥–٧).

معمودية الروح هي إذاً سر فصحي من حيث أنها اشتراك في

الروح القدس هي التي توهب مع الماء. فكما أن التقادم التي ترفع في معابد الأوثان تدنّس باستدعاء الأصنام، كذلك يتلقّى الماءُ العادي قوّة مقدّسة باستدعاء الروح القدس والمسيح والآب.

بما أن الإنسان مزدوج أي مركّب من نفس وجسد، فلا بدّ له من تطهير مزدوج: لا ماديّ لِما هو غير مادّي، ومادّي للجسد. وهكذا يطهّر الماء الجسد، ولكن الروح القدس يختم النفس. فلنتقرّب إذاً إلى الله (عبر ١٠: ٢٢) لكي يُغسل قلبُنا في الروح وجسدُنا بالماء النقي. فالذي سينزل في الماء، لا يقترب منه كمن يقترب من ماء عادي، بل من ماء سيمنحه الخلاص بنعمة الروح القدس. لأنه، بدون الماء ونعمة الروح القدس، لا يمكنكم أن تكونوا كاملين. لست أنا الذي أقول ذلك، بل الرب يسوع المسيح، الذي له القدرة على هذه الأشياء، إذ يقول: «ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله، إلاّ إذا وُلد من جديد»، ويضيف: فصح المسيح. هي موت للخطيئة وحياة من أجل الله في المسيح، ومن هذه المعمودية يخرج المؤمن ليحيا بحياة المسيح ذاتها (غلا ٢: ٢٠)، وفي هذه الآية لا يتحدّث الرسول بولس عن نفسه حصراً. معمودية الروح ليست غسلاً خارجياً أو متغيراً بحسب الظروف. إنها تحدث تغييراً جذرياً، فالمعتمد يخرج من جرن العماد مخلوقاً على صورة الله من جديد. عبور المسيحي مياه العماد هو كمثل عبور نوح مياه الطوفان، عبوراً خلاصياً محرّراً بفعل قيامة المسيح، كما يقول القديس بطرس في رسالته الأولى (٣: ١٨–٢١).

## إحتفالٌ أم خوف؟

إنّ الاحتفالات عموماً تدخل في ثقافة كلّ شعوب العالم. فغالباً ما نسمع بالاحتفال بأعياد الميلاد الشخصية وبرأس السنة وبالنجاحات إمّا الدراسية أو الوظيفيّة وغير ذلك من الاحتفالات التي تعطي المُحتفلين دفعاً للمضيّ قُدُماً في الحياة حتى ولو عانوا المشقّات الكثيرة للوصول إلى هذه النجاحات. فالنجاح والاحتفال يجعلان الإنسان ينسى كلّ ما سبق من عذابٍ وتعب فيصبح محبًّا للحياة أكثر فأكثر، ومتعلّقاً بها، وناسياً أنّ هناك نهايةً حتميّةً سيصل إليها في أحد الأيام، أي الموت.

إذاً، يمكننا تشبيه الاحتفال والفرح الوقتيّ بالمخدِّر الذي، متى انتهى مفعوله، عاد الإنسان إلى همّه وغمّه، ليعود ثانيةً ويأخذ جرعةً أخرى منه. لذا، نرى كلّ يوم نوعاً جديداً من الأسباب الموجبة للإحتفال تظهر هنا وهناك، وأصبح لدينا كل شهر تقريباً عيدٌ أو أكثر فيهرع الناس لشراء الهدايا والإحتفال. إلى جانب الوجه التجاري للموضوع ثمّة وجه آخر نفسي، إذ نعيش في هذا العالم حالة هروب من الموت ومن التفكير به.

إنّ الرهبان يعيشون دائماً حالة ما نسمّيه «ذكر الموت»، إذ نجد في الأديرة غرفاً مخصّصة لرفات الرهبان السابق رقادهم، ظاهرةً للجميع، ونرى دوماً رهباناً يجلسون ناظرين هذه العظام المجرّدة متأمّلين ومصلّين أمامها لراحة أنفس مَن سبقوهم، الأمر الذي يجعلهم يشعرون دائماً بالتوبة إذ ينظرون ما ستؤول إليه حالهم. ذكر الموت هذا نجده أيضاً في حياتنا الليتورجيّة، إذ نجد في تقسيم صلواتنا اليومية أنّ نهار السبت من كل أسبوع مخصّصٌ للصلاة من أجل راحة أنفس السابق رقادهم. إذاً، فإنّ الكنيسة كأمٍّ، يهمّها خلاص أبنائها، تحثّهم على التوبة من خلال تذكيرهم بأنّهم سيموتون في يوم من الأيام وعليهم أن يعدّوا العدّة لذلك.

الإنجيلي لوقا يسرد علينا مثلاً عن إنسانٍ قضى وقته بالرفاهية فكان يلبس الأرجوان والبَزَّ ويتنعّم كلَّ يوم مترفّهاً ناسياً أنّ الله أعطاه كلّ ذلك فلم يساعد المسكين لعازر الذي كان مطروحاً عند بابه، كما أنّه نسي تماماً أنّ هناك نهايةً للنعيم الأرضي كما أنّ هناك نهاية للعذاب

«وكان مولده من الماء والروح» (يو ٣: ٣). لا ينال النعمةَ الكاملة ذاك الذي عُمّد بالماء ولكنه لم يتلقَّ الروح القدس، ولا يدخل ملكوت السموات ذاك الذي تعلّم حُسن القيام بأعمال البّر، ولكنه لم يتلقَّ ختم الماء. قد يبدو لكم هذا الكلام جريئاً ولكنه ليس مني، إن يسوع هو الذي أصدر هذا القرار، وإليكم الدليل كما ورد في الكتاب المقدس: «كان كورنيليوس رجلاً يخاف الله، فحظي برؤية ملاك الرب يقول له إن صلواته وصدقاته صعدت إلى الله». وجاء بطرس. ونزل الروح القدس على جميع الذين آمنوا، وأخذوا يتكلّمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون (أعمال ١٠:٣- ٤، ٤٤؛ ١٩: ٦) وبعد أن تلقوا نعمة الروح القدس، يقول الكتاب: «وأمر (بطرس) أن يُعمَّدوا باسم الرب» (أعمال ١٠: ٤٨)، لكي يتلقى الجسد النعمة بالماء كما تجدّدت النفس بالإيمان.

القديس كيرلس الأورشليمي

الأرضي، فمات الرجلان ونال كلّ واحدٍ جزاءه عمّا فعله في حياته. فذهب لعازر إلى حضن إبرهيم، والرجل الغنيّ إلى الهاوية (لو ١٦: ١٩-٣١).

في الموضوع نفسه يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «توجد المدافن والقبور أمام المدن والقرى لكي تذكّرنا باستمرار بالموت الإنساني؛ هكذا كلما ندخل إلى مدينة كبيرة وغنيّة أو إلى قرية رائعة وجميلة، وقبل أن نرى روائعها ومشاهدها، نرى نهاية كلّ جمال وغنى ومجد ومصيره». فالكنيسة وآباؤها يذكّرون الأبناء دائماً بما فيه مصلحتهم، لكنّ الأبناء هم أحرارٌ على صورة الآب الذي خلقهم، يمكنهم أن يسمعوا أو لا، لكنّ الكنيسة لن تكفّ عن التذكير. القديس الذهبي الفم يقول أيضاً إنّه على الإنسان المسيحي أن «يفكّر دائماً بموته ودينونته الآتية والجواب الذي سيعطيه عن أعماله ويفكّر دائماً بخطاياه طالباً إلى الله مسامحته عليها». علينا كمسيحيين أن نطرح عنا كلّ اهتمامٍ دنيويّ، وهذا لا يعني ألاّ نفرح ونحتفل ونحيا بسعادةٍ على الأرض، ولكن ألاّ يكون هذا كلّ اهتمامنا. علينا أن نعمل للحياة الآتية كعملنا لهذه الحياة الحاضرة، أي أن نثبّت أنظارنا على المسيح ونحيا بحسب أقواله، لأنّه يمكننا منذ الآن أن نسبق ونتذوّق الفردوس الآتي.

يقول الذهبي الفم أيضاً: «إقترب من القبر وانظر الغبار والنتانة والدود، أنظر وتنهّد بمرارة، ويا ليت المصيبة تتوقف عند الغبار الذي تراه. من القبر والدود انتقل بفكرك إلى دود الحياة الأخرى الذي لا ينام وصرير الأسنان والظلمة الأبديّة والنار التي لا تُطفأ والعقابات المرّة التي لا تطاق والتي لا نهاية لها...». كما نجد لدى الرهبان القول التالي: «إن متَّ قبل أن تموت فلن تموت عندما تموت»، أي إذا متنا عن خطايانا وشهواتنا قبل أن تأتي ساعتنا، عندئذٍ سنرث الحياة الأبدية.

فلا تكُن احتفالاتنا هرباً ممَّا ينتظرنا في النهاية ولا تعلُّقاً بما لدينا حاليًّا، بل فليكن لكلّ أمر نفعله في حياتنا مغزًى ومنفعةً لنا ولمن هم حولنا، موصلين أنفسنا وإيّاهم إلى الفرح الأبدي غير الوقتي والذي لا يزول، حيث نحتفل جميعنا مع المسيح الظافر.

## عيد الظهور الإلهي

في مناسبة عيد الظهور الإلهي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٦ كانون الثاني ٢٠١١ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**
**www.quartos.org.lb**